

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جُنُوحُ الْأَحْدَاثِ .. كَيْفَ نَحْمِي مِنْهُ مُجْتَمِعًا

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَعَ لِخَلْقِهِ مَا يُقَوِّمُ حَيَاتَهُمْ، وَيَضْمَنُ لَهُمْ سَعادَتَهُمْ وَكَرَامَتَهُمْ، وَنَشَهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَنَشَهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، خَاطِبُهُ رَبُّهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَمْرُ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾^(١)، فَكَانَ خَيْرًا أَبْ مُرَبٌّ، وَقَرِيبٌ مُوجِّهٍ، وَذِي عَشِيرَةٍ نَاصِحٍ، وَعَلَى اللَّهِ وَصَاحِبِهِ الَّذِينَ بَنَوا مُجْتَمِعَ الْأَبْرَارِ، وَأَرْسَوْا مَعَالِمَ التَّكَافِلِ وَالْإِسْتِقْرَارِ، وَعَلَى كُلِّ مَنْ سَارَ سِيرَتَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْحِشْرِ وَالْقَرَارِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أُوصِيكُمْ - عِبَادَ اللَّهِ - وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ﴿يَتَائِهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَهَدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٢)، وَاعْلَمُوا مَعَاشِرَ الْمُؤْمِنِينَ - أَنَّ الْأَبْنَاءَ زِينَةُ الْحَيَاةِ وَرِيَاحَانَةُ الْأَيَّامِ، يَقُولُ الْمَلِكُ الْعَلَامُ: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(٣)، غَيْرُ أَنَّ نِعْمَةَ الْوَلَدِ لَا تَتَحَقَّقُ لِلْأَبَاءِ وَلَا لِلْمُجْتَمِعِ إِلَّا إِنْ نَشَأَ الْوَلَدُ نَشَأَ صَالِحةً، وَكَانَ الشَّابُ شَبَابًا عَارِفًا لِحَقِّ رَبِّهِ، وَمُؤْدِيًّا لِوَاجِباتِهِ تِجَاهَ أَهْلِهِ وَمُجْتَمِعِهِ وَوَطْنِهِ، وَإِلَّا انْقَلَبَتِ النِّعْمَةُ نَقْمَةً، وَتَحَوَّلَ الْأَمْلُ أَمْلًا، لَذَا قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا مُخَاطِبًا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْمُنَافِقِينَ: ﴿فَلَا تُعِجِّلْكَ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرَهُنَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَفِرُونَ﴾^(٤). إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ مَا يُؤْرِقُ الْمُجْتَمِعَاتِ فِي عَالَمِ الْبَيْوْمِ، وَيُزَعِّزُ طُمَانِيَّتَهَا - أَيُّهَا الإِخْرَوُ الْمُرْبُونَ - مَا يُعْرَفُ بِظَاهِرَةِ جُنُوحِ الْأَحْدَاثِ، مَوْضِيَّةُ الْفَتَّ فِيهِ بُحُوثٌ، وَنُوْقِشَتْ فِيهِ درَاسَاتٌ، وَوُضِعَتْ فِيهِ نَظَرِيَّاتٌ، وَعُرِضَ بِعُمُقٍ فِي مَجَالَاتِ عِلْمِ النَّفْسِ، وَعِلْمِ الاجْتِمَاعِ، وَفِي عِلْمِ السُّلُوكِ الإِنْسَانيِّ وَالْجَرِيمَةِ،

(١) سورة طه/١٣٢

(٢) سورة المائدah/٣٥

(٣) سورة الكهف/٤٦

(٤) سورة التوبah/٥٥

والمقصود بـجُنُوح الأحداث وقوع من لم يبلغوا سن الرشد أو من هم دون السن القانونية في انحرافات أخلاقية وسلوكيات إجرامية، إن جُنُوح الأحداث معضلة حقيقة، وناقوس خطر، إنها معضلة حين تصرف تلك الطاقات الشابة المتداقة بالنشاط، التي يعتقد عليها الوطن والأمة الآمال، حين تصرف إلى الإضرار ب أصحابها والمجتمع من حولهم، وإن لخطر حقيقى أن يعتاد النشء الانحراف منذ صغره، ويالف ارتكاب الجرائم منذ نعومة أظفاره، فـأي خير ينتظره منه وطن وترجوه أمّة بعد ذلك إذا ما اشتدا عوده ورسخ عموده، وأى جهد يلزم بذلك ليعود إلى الجادة ويلزم الهدى؟ إننا بحاجة - إخوة الإيمان - إلى أن نذكر دائمًا ما للناشئة علينا من واجبات بصفتنا آباء، ومن تأثير بصفتنا مصلحين ومربين، ومن دور بصفتنا أفراداً في هذا المجتمع المبارك؛ حتى نحافظ أرضنا الطيبة من بذور الفساد والإفساد، ونحمي حمى شبابنا من كل انحراف دخيل، وإجرام خطير.

أيها المؤمنون:

إنه على عاتق الآباء والأمهات تقع المسؤولية الكبرى من أجل حماية مجتمعنا من ظاهرة جُنُوح الأحداث، فالأسرة هي الحصن الأول للنشء، فإن كانت الأسرة أسرة صالحة تراعي إصلاح ابنائها وتقويم سلوكهم؛ نشأ الأطفال في بيئه صالحة، وتغدو بالمبادئ السامية، ورضعوا الأخلاق العالية، وإن كانت الأسرة على خلاف ذلك ضعف في الأبناء داعي الخير، وغاب الموجة الحانية، والرقيب الحامي، «والبلد الطيب يخرج بناته، بإذن ربها»^١ وألذى خبث لا يخرج إلا نكدا^٢). إن من أعظم ما جاء في التوجيه الرباني - إخوة الإيمان - قول الله جل وعلا: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوْمًا أَنْفَسُكُمْ وَأَهْلِيْكُمْ نَارًا وَقُوْدُهَا أَنَّاسٌ وَالْحَجَارَةُ»^٣، والمصطفى عليه يوجة الآباء إلى ما يعين على تقويم ابنائهم وإصلاحهم، فيقول عليه: ((علموا أولادكم القرآن، فإنه أول ما ينبغي أن يتعلّم من علم الله هو)، ويقول موجهاً ومرشداً: ((علموا أولادكم الصلاة لسبعين وأضربوهم علية عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع)); فلا بد

(١) سورة الأعراف/٥٨

(٢) سورة التحريم/٦

من الحرص الشديد على صلاح الأبناء، وربطهم بشعائر دينهم وتعاليمه منذ نعومة أظفارهم، كما أنه يجدر بالآباء أن يربوا أبناءهم على تعظيم الله جل وعلا ومراقبته، وفي خبر لقمان -عليه السلام- مثال حسن لذلك حين قال لابنه وهو يعظه: «يَبْنِي إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرَدِلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَيْرٌ»^(١)، فبت تعظيم الله سبحانه وحسنه مراقبته تنموا في الأبناء الرقابة الذاتية، ويقوى فيهم الوازع الديني، مهما ابتعد عنهم الموجة والرقيب.

معاشر المؤمنين:

إن أهم مؤسسة يمكنها أن تحمي أبناءنا من الجنوح، وتغرس فيهم القيم السامية والأخلاق العالية هي المدرسة، فدور المدرسة يتلو دور الأسرة من حيث الأهمية لأنها تُسهم في تشكيل عقلية الطفل ووعيه وتركيبته النفسية، وكم من طفل يرى أقرانه، واستقام سلوكه، وصلاح حاله؛ بسبب توجيهه من معلم، أو إرشاد من مدرس، أو اهتمام ورعاية من مختص في مدرسته، إن دور المدرسة أعظم من مجرد تلقين المعلومات وتقديم العلوم، إنها بيئة رعاية وتوجيه، وتربيه وإصلاح، يتعاون في بنائها الإداري، ومعلم المادة، والقائم على الأنشطة، والأخصائي الاجتماعي والنفسى، غير أن هذا الدور العظيم قد تختل أركانه إذا ما غاب دور المعلم الغير، والموجه المشفق، والمرشد المخلص، فيتجه بعض الطلبة بسبب ذلك ونتيجة لعدم التكيف المعرفي أو الاجتماعي أو النفسي إلى سلوك مسلك التمرد على الاتجاه التعليمي العام، فتشاء مجموعات التمرد والفساد في أوساط الطلبة، وتقوم بخلق بيئة لأنحراف تجذب إليها كل من تخلت عنه يد الموجة الحانية، والمعلم الباني، وقد تصل درجة الانحراف في مثل تلك المجموعات إلى نشر عادة التدخين وترويج المخدرات والانحلال الجنسي وربما كان للفضاء الإلكتروني دور في ذلك. إن المسؤولية الواقعة على عاتق القائمين على المدارس والعامليين عليها -إياها الأحبة- لهي مسؤولية عظيمة جداً، لا

بُدَّ أَنْ تُعْطِي حَقَّهَا وَتُؤْدِي بِأَمَانَةٍ وَإِخْلَاصٍ، كَمَا أَنَّ حُسْنَ الْعَلَاقَةِ بَيْنَ الْبَيْتِ وَالْمَدْرَسَةِ لَهُ أَثْرٌ كَبِيرٌ فِي تَفْعِيلِ دَوْرِ كُلِّ مِنْهُمَا، فَالآبَاءُ مَسْؤُلُونَ عَنْ مُتَابَعَةِ أَبْنَائِهِمْ فِي مَدَارِسِهِمْ وَخَلْقِ قَنَوَاتِ تَوَاصُلٍ مَعَ الْبَيْتِ الْمَدْرَسِيَّةِ، فَكَلِمُ رَاعٍ - أَيُّهَا الْأَحْيَةُ - وَمَسْؤُلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَاحْرِصُوا عَلَى سَلَامَةِ مُجْتَمِعَاتِنَا مِنْ انْحرافِ النَّاسِيَّةِ، وَفَسَادِ الْأَحْدَاثِ، وَلَيْكُنْ مِنْ دُعَاءِ كُلِّ أَبٍ «رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّابِرِينَ»^(١)، وَلَيْكُنْ مِنْ تَضَرُّعِهِ تَضَرُّعُ زَكَرِيَّاً عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ^(٢)، وَلَيَعُودْ أَبْنَاءَهُ كَمَا نَادَتْ أُمُّ مَرِيمَ الْبَتُولُ رَبَّهَا «وَإِنِّي أَعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَنِ الرَّجِيمِ»^(٣).

أَقُولُ قَوْلِيَ هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرُكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُ الْكَرِيمُ.

*** *** ***

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَنَشَهُدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَنَشَهُدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ وَالاهُ.

أَمَّا بَعْدُ، فَاعْلَمُوا - إِخْوَةُ الإِيمَانِ وَالْهُدَى - أَنَّ لِلنَّجْمِ تَمَعِ دَوْرًا لَا يُمْكِنُ تَجَاهِلُهُ فِي صِنَاعَةِ تَوَجُّهِ النَّاسِيَّةِ وَرَسْمِ مَعَالِمِ سُلُوكِهِمْ، وَالْأَصْنَافِ فِيَاتِ الْمُجْتَمِعِ بِالْفَرْدِ وَأَكْثَرُهَا تَأْثِيرًا هِيَ فِتْنَةُ الْأَصْدِيقَاءِ وَالْأَصْحَابِ، وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: ((المرءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلَيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ)), فَلَا بُدَّ مِنْ مُرَاعَاةِ مَنْ يُصَاحِبُ أَبْنَاؤُنَا، وَمَعَ مَنْ يَقْضُونَ أَوْقَاتَ فَرَاغِهِمْ، وَلَا بُدَّ مِنْ تَوْجِيهِهِمْ إِلَى كَيْفِيَّةِ اخْتِيَارِ أَصْحَابِهِمْ، وَمَعَايِيرِ بِنَاءِ صَدَاقَاتِهِمْ. وَمَمَّا يَنْبَغِي مُرَاعَاةُ إِشْرَاكِ الشَّبَابِ النَّاشِئِ فِي الْفَعَالِيَّاتِ وَالْأَعْمَالِ الْخَيْرِيَّةِ التِّي تَهْدِفُ إِلَى خِدْمَةِ الْمُجْتَمِعِ وَرِعَايَةِ الْمُحْتَاجِينَ فِيهِ، فِيَذَلِكَ يَصْنَعُونَ لِأَنفُسِهِمْ صُحْبَةً تَرْبِطُهُمْ بِالْأَهْدَافِ السَّامِيَّةِ وَالْغَایيَاتِ النَّبِيلَةِ، وَبِذَلِكَ يَنْمُو فِي أَنفُسِهِمْ حُبُّ تَقْدِيمِ النَّفْعِ لِلْغَيْرِ، وَخِدْمَةُ نَوْيِ الْحَاجَةِ فِي

(١) سورة الصافات/ ١٠٠

(٢) سورة آل عمران/ ٣٨

(٣) سورة آل عمران/ ٣٦

المجتمع، فيكون في سلوكهم ذلك وقائمة لهم من الواقع في ما فيه فساد للمجتمع أو إفساد له، وهذا الأمر لا يقع - رحمة الله - على عاتق الآباء فقط، بل هو مسوؤليتنا جماعاً بصفتنا مجتمعًا مختلفاً مترابطاً، فبناءً جارك أبناؤك، وأطفال الحي الذي تسكنه هم أطفالك، إذ إن فساد أحدهم هو فساد يلحق بمجتمعك، وضياع أحدهم هو ضياع يصيب بيته مسكنك. وإن من خير ما يعين على صلاح الأبناء ربطهم بالمسجد، حضوراً لصلاة الجماعة، ومشاركة في خدمته، وتفاعلًا مع حلقة الذكر فيه، فيتعلق قلب المرء منهم بالمسجد والعبادة، ويرتبط بيئه المسجد ومجتمعه، وتحسن علاقته بأهل المسجد من الأقران والجيران، فيensem ذلك كله في صلاحه، ويجعل منه فرداً محباً لمجتمعه ساعياً لخيره وخدمته، ولا ننسى - رعاكم الله - أن مما يعين على حسن منبت الأحداث ويحميه من الجروح والانحراف قوّة علاقات التكافل والتلاحم والترابط في المجتمع، وذلك حين يخنو القوي في المجتمع على الضعيف فيه، ويعين ذو الميرة ذا الفاقة، ويعطف الغني على ذي الحاجة، فيشعر أبناء الفقير والمحتاج والضعيف أن لهم في مجتمعهم آباءً معاً بهم، وأقرباء من غير أهليهم، يقضون حاجتهم، فلا تفتدي بد أحدهم بعد ذلك إلى مجتمعه خائناً، أو إلى حسن العلاقة معاً بائناً، فيصلح المجتمع بذلك ويقوى.

فانتقوا الله - عباد الله -، وكُونوا مجتمعًا متكافلاً، متعاطفاً، متعاوناً، تشمله المودة، وتغشاها الرحمة، وتحتويها الأخوة، فيئه الفقر والعوز، والتقطيع والتدابر، وال الحاجة والجهل، هي أرض خصبة لظهور الانحراف، ونمو الجريمة، وانتشار الفساد، «ربّ أَجْعَلَ هَذَا بَلَدًا إِمَانًا وَأَرْزَقَ أَهْلَهُ، مِنَ الشَّرَّاتِ مَنْ أَمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ»^(١)، «رَبَّنَا هَبَّ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذِرَّنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَأَجْعَلَنَا لِلنَّقِينَ إِمَاماً»^(٢).

هذا وصلوا وسلموا على إمام المسلمين، وقاد الغر المحبّلين، فقد أمركم الله تعالى بالصلوة والسلام عليه في محكم كتابه حيث قال عز قائلًا عليماً: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَكِتَهُ يُصَلِّونَ

عَلَى النَّبِيِّ يَتَأْمِهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلَوَاعَلَيْهِ وَسَلَمُوا تَسْلِيمًا»^(١).

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمَيْنِ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَأَرْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلُفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمِيعَنَا هَذَا جَمِيعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفْرِقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفْرِقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعِ فِينَا وَلَا مَعَنَا شَقِيقًا وَلَا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَوَحْدَ اللَّهُمَّ صُفُوفَهُمْ، وَأَجْمَعُ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَأَكْسِرُ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَأَكْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُومُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَسْتَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَسْتَغْيِثُ أَلَا تَكِلْنَا إِلَى أَنفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ، وَأَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصْلِحَ شَأْنِ الْصَّالِحِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيْدِهِ بِالْحَقِّ وَأَيْدِيهِ بِالْحَقِّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعْمَتَكَ، وَأَيْدِيهِ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوْقِيقَكَ، وَاحْفَظْهُ بِعَيْنِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزَلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرَجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزَرْوُعِنَا وَكُلُّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ. رَبَّنَا آتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَفِنَا عَذَابَ النَّارِ. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللَّهِ: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَةِ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعْظُمُ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ».